(الإسهامات الإجتماعية والسياسية للشيخ محمد البشير الإبراهيمي -محليا ودوليا-)

د/ بلقاسم الحاج

جامعة برج بوعريريج

ملخص:

تأتي هذه الدراسة للكشف، وبشكل علمي ومنهجي عن شخصية الشيخ محمد البشير الابراهيمي الجزائري، وسيرته العلمية، وكذا إبراز انجازات الرجل في المجال السياسي والاجتماعي الدولي والإقليمي والتي تمثلت في محاربة الطرقية ونبذ الحزبيات الضيقة، وحماية الهوية الوطنية الجزائرية، عن طريق تعليم اللغة العربية ونشر تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، بالإضافة إلى إسهاماته في مجال السياسة الخارجية والعلاقات الدولية ولاسيما العربية منها، مثل القضية الفلسطينية، والوحدة العربية.

إن هذه المجهودات الجبارة التي بذلها العلامة محمد البشير الإبراهيمي، تؤكدها وتثمنها عديد الشخصيات العلمية الوطنية والدولية، ممن عاصروه أو درسوا عنده...، أو بحثوا في تراثه، من أمثال الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائيين، والأديب محّمد بن العابد الجيلالي، والشيخ الإمام محمد الغزالي، والأستاذ أحمد توفيق المدني، والشيخ عبد الرحمن شيبان...الخ.

كلمات مفتاحية: السياسة، المجتمع، الطرقية، الهوية الوطنية، التعريب، الوحدة العربية

Résumé :

Cette étude a pour objet de viser sur la personnalité de cheikh Elbachir Elibrahimi, et sa biographie d'une manière scientifique et méthodique, ainsi de focaliser sur ses réalisations dans le domaine politique au niveau international et territorial qui étaient basées sur la lutte contre les adeptes de Torakiya, et le sectarisme.

En protégeant l'identité nationale algérienne, par l'enseignement de la langue arabe, et en émettant la religion. En plus de ses contributions dans le domaine politique au niveau des relations internationales, notamment les relations arabites comme l'affaire palestinienne et l'arabe uni.

Tous les efforts réalisés par cheik Bachir el Ibrahim, a été confirmé et estimé par plusieurs personnalités scientifiques nationales et internationales de son époque, qui ont été leurs élèves ou des chercheurs de son héritage comme

cheikh Abdelhamid Ben Badis, le président de l'association de oulémas musulmans, l'auteur Mohamed Ben Elabed eldjilali, Cheikh Mohamed el Ghazali, professeur Ahmed Toufik el Madani, Cheikh Abderrahmane Chibane ...ect.

Mots-clés: politique, société, identité nationale, arabisation, union arabe

مقدمة:

لقد جاء في السيرة الذاتية للشيخ الابراهيمي رحمه الله، أنه لم يكن شخصيةً عاديةً، فهو مجموعةً من المواهب والعبقريات."حيث كان آيةً في علمه الواسع وأدبه الرّفيع وخُلقه النّبيل ودينه المتين وإخلاصه وسَعَةِ أُفق تفكيره وبُعد نظره، وإنكاره لذاته وتَفانيه في خدمة أمّته"(1).

وهذا ماجعله يعيش من أجل الدّفاع عن الإسلام الحقّ والنّهوض باللّغة العربيّة في هذا الوطن العزيز، حيث كان مصلحًا دينيًّا واجتماعيًّا، ومفكِّرًا جليلا، واحد اهم رواد السلفية في الجزائر، حيث عمل على نشر مبادئها.

لم يقتصر نشاط الابراهيمي على الجانب الاصلاحي الجمعوي فحسب كان الابراهيمي ذو نشاط سياسي قوي، لكن من نوع آخر، وقد يكون ذلك الجانب المهمل في من تراث العلامة لاسباب متعددة.

في هذا الاطار تأتي هذه الدراسة لإماطة اللثام وبشكل علمي وممنهج عن ابرز انجازات الرجل في المجال الاجتماعي والسياسي، الدولي والاقليمي، وأهم الدلائل على ذلك، وذلك من خلال شهادات بعض العلماء والشخصيات ممن عاصروه أو درسوا عنده، أو قرأو له وبحثو في تراثه

1- التعريف بشخصية محمد البشير الابراهيمي الجزائري:

1-1- مولده، نشأته وتعلمه:

هو محمد البشير الإبراهيمي، بن محمد السعدي، بن عمر بن محمد بن السعدي بن عبد الله بن عمر الإبراهيمي، ولد يوم 13 جوان 1889 م وينتسب إلى قبيلة (ريغه)، الشهيرة بأولاد إبرهيم بن حيى بن مساهل، "بقرية" راس الوادي" ولاية برج بوعريريج حاليا، وهي قبيلة عربية النسب تنتمي في أصولها إلى الأدارسة.

وقد وجد بخط جدِّهِ العالم ناصر السّنّة، وقامع البدعة، الشّيخ عمر الإبراهيمي في كتاب أرَّخَ فيه لمواليد الأسرة ووَفَيَاتهم ما نصّه : «أنعم اللهُ على ولدنا محمّد السّعدي بمولود ذكر بعد ثلاث بنات متواليات عند طلوع الشّمس ليوم الخميس الرّابع عشر من شهر شوال عام ستة وثلاثمائة وألف، ولاستبشارنا بطلعته سمّيناه محمّد البشير، أحياه الله، وجعله من رجال العلم النّافع، والعمل الصّالح وجعله قاطعًا للضّلال، آمين»»(2).

نشأ في عائلة جزائرية محافظة، توارث افرادها العلم أبا عن جد منذ أكثر من خمسة قرون ، يقصدها طلاب العلم من مختلف أنحاء البلاد، فتتكفل بمستلزمات إيوائهم وتعليمهم، إلى أن يحصلوا على مبتغاهم العلمي والمعرفي، فأخذ العلم في بيت أسرته عن

عمّه: الشّيخ محمّد المكّي وعن الشيخ عبد العزيز الوزير، والشيخ محمود الشنقيطي، والشيخ حمدان الونيلي، والشيخ الطيب بن مبارك الزواوي وغيرهم. - وكان علاَّمةً جليلا-. وقد رزقه الله قوّة الحافظة.

فما بلغ الطفل البشير التّاسعة من عمره حتّى حفظ القرآن الكريم وآلافًا من أشعار العرب، وعددًا من المتون العلمية المشهورة للتّدريس إذ ذاك: كالتلخيص، وجمع الجوامع، وألفية ابن مالك، وألفيتي العراقي في السِّير وعلوم الأثر، ورقم الحلل في نظم الدول لابن الخطيب، والشّاطبيّتين في القراءات والرّسم، وتحفة ابن عاصم الأندلسي. كما حفظ بعد التّاسعة موطأ الإمام مالك ومقدّمة صحيح مسلم، والمعلّقات، والمفضّليّات.

كانت لعمّه في تربيته طريقة تُوافق استعداده، وهو أنّه كان معه في دراسة مستمرّة لا تقطعها عنه إلاّ ساعات النّوم، فكان يُلَقِّنُهُ، ويُملي عليه ويشرح له، ماشيًا وقاعدًا، وفي جميع الأحوال إلى أن يأخذه النّوم، كلّ ذلك مجاراة لحفظه، وذكائه، واستعداده الفطري، فقد رأى منه استعدادًا خارقًا وحافظة ملتهِمة وذاكرةً لا تُفْلِتُ شيئًا، فكان منه ما كان.

وقد كان عمره يوم مات عمُّه أربعة عشر عامًا، وختم عليه وهو في مرض الموت الفصول الأخيرة من ألفية ابن مالك بشرح المرادي، وقد أجازه عمُّه بتدريس العلوم التّي علم أنّه أتقنها عليه، فانتصب للتّدريس وهو ابن خمسة عشر عامًا، واستفاد منه النّاس الّذين حضروا دروسه وكانوا أكبر منه سنًّا(3).

1-2- هجرته، نفيه واعتقاله:

هاجر سنة 1911م إلى المشرق العربي، للاستزادة في طلب العلم والمعرفة، ومكث هنالك إلى غاية سنة 1920 م، أقام في المشرق العربي وبعض الدول الإسلامية، خلال الفترة الممتدة بين 1952 م– 1962 م، طلبا للمساعدة من الأشقاء العرب والمسلمين، لدعم النهضة العلمية والثقافية الناشئة في الجزائر، ولحشد الدعم المادي والمعنوي للثورة التحريرية، بعد اندلاعها في أول نوفمبر 1954م.

هذا وقد أُبعد الإبراهيمي إلى الصحراء سنة 1940م، وبعد وصوله إلى معتقل الصحراء بأسبوع توفي الشيخ ابن باديس، فقرر رجال الجمعية انتخاب الإبراهيمي لرئاستها، واستمر في معتقل (آفلو) الصحراوي من سنة 1940م إلى سنة 1943م، وبعد إطلاق سراحه أنشأ في عام واحد ثلاثًا وسبعين مدرسة وكتَّابًا؛ وكان هدفه نشر اللغة العربية، وجعل ذلك عن طريق تحفيظ القرآن الكريم، إبعادًا لتدخل سلطات الاحتلال الفرنسي؛ وقد تسابق الجزائريون في بناء المدارس، فزادت على أربعمائة مدرسة، وفي سنة 1945م زُجّ به في السجن العسكري، ولقي تعذيبًا شديدًا من الفرنسيين، ثم أُفرج عنه، فقام بجولات في أنحاء الجزائر لتجديد النشاط في إنشاء المدارس والأندية والكتاتيب، ثم استقرّ به المقام سنة 1952م بالقاهرة. وحين اندلعت الثورة الجزائرية سنة 1954م قام برحلات إلى الهند وغيرها لإمداد الثورة بالمال والسلاح.

1-3- وفاته وحزن الجزائريين عليه :

توفي الشيخ البشير الابراهيمي في منزله بحي حيدرة العاصمة، يوم الخميس 19 محرم سنة 1385هـ، الموافق 19 مايو (أيار) عام 1965م، عن عمر يناهز السادسة والسبعين عامًا. ودفن في مقبرة "سيدي محمد" بحي بلكور العاصمة.

وقد خرج الآلاف من أبناء الشعب الجزائري لتشييع جنازته إلى مقرها الأخير. كما حضرت وفود من مختلف أنحاء القطر للمشاركة في تشييع الجنازة، ورثاه العلماء والشعراء وأجهزة الإعلام، وبكته الجزائر كلها كما بكاه تلاميذه الكثيرون وعرفوا علمه وفضله في المشرق والمغرب العربيين، وفي البلاد الإسلامية غير العربية.

ترك الكثير من المقالات والخطب، والأحاديث والدروس والمحاضرات، التي جمعت تحت عنوان "آثارالشيخ البشير الإبراهيمي"، وهي ذات قيمة أدبية و لغوية، وفكرية وسياسية كبيرة.

2- دورالإبراهيمي في محاربة الطرقية ونبذ الحزبية الضيقة

إنطلاقا من المبادئ التي تربى عليها، وخاصة في اطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ساهم الابراهيمي في محاربة بعض الظواهر التي رأى أنها تقف حجر عثرة أمام الوحدة الوطنية وتحقيق الاستقلال الوطني، والتي منها ما يلي:

2-1- محاربةُ الطّرقيّة:

تعتبر مبادرته في محاربة هذا التيار المنحرف، الذي تم استغلاله لتحقيق مآرب استعمارية، حيث أزعج الطّرقيّين بدعوته لمحاربتهم، لإعتقاده أنّ الطُّرق هي «علّة العِلل في الإفساد ومنبع الشرور، وأنّ كلّ ما هو متفشٍّ في الأمّة من ابتداعٍ في الدّين، وضلالٍ في العقيدة، وجهلٍ بكلّ شيء، وغفلةٍ عن الحياة، وإلحادٍ في النّاشئة، فمنشؤُهُ من الطُّرُق، ومَرجعها إليها»(4)، فوقف لها وقفةَ المنكِر المشتدّ، مما أدى إلى وقوع اصطدامُ عنيف بينه و بينهم، ولما اشتد عليهم الأمر طلبوا المَدَدَ من خارج تلمسان، واستنجدوا ببعض فقهائهم من «الطّائفة العليويّة» الذين استقدموهم إلى زاويتها بتلمسان من أجل مساندتهم ضد دعوة الإبراهيمي.

ونظرا لعدم قبول مناظرتهم تم وصف الإبراهيمي من طرف هذه الفئة الضالة بـ: «الأعرج»، «الفيلسوف داعية الضّلال والاعتزال بتلمسان»، وأنّ «فتاويه المغرضة الشّيطانيّة.. أثارت فتنةً في الحاضرة التّلمسانيّة، كما وصفوه بـ«الأنانية والعظمة الفرعونية»، ونسب إليه دعوى «الاجتهاد المطلق»، وتأويل الآيات القرآنية على حسب ما يظهر له ، وأنّه يقدح في المفسّرين المتقدّمين.

وبعد أن نسبوا أنفسهم إلى السّنّة والجماعة، نسبوه إلى البدعة والضّلالة. وفي قائمة الأسئلة الّتي وجّهوها إليه، نسبوا إليه أنه يُضلِّل أصحابَ المذاهب الأربعة، ويُنكِر كرامات الأولياء، ويُكَفِّرُ مَن يزور القبور، ويُنكِر مشروعية الدّعاء...في قائمةٍ من المغالطات والإفتراءات.(5)

2-2- نبذ الابراهيمي للحزبية السياسية

يرتكز الفكر الابراهيمي على نبذ التحزب، خاصة في الفترة الاستعماري، ذلك أن التحزب في ظل وجود قضية محوري مشتركة، لا ينفع المجتمع الجزائري بقدر ما يفرقه، وبالتالي تضعف القوة السياسية والعسكرية الساعية الى الاستقلال، ذلك لما للحزبية من دور في انتشار التنافر والتناحر والتشتّت والضعف بين المسلمين.

كما يسترشد الإمام بالنّصوص الشّرعية الواضحة الجليّة في تحريم الحزبيّة المقيتة، وكثرة بالمقابل النّصوص الدّاعية إلى الاجتماع، والاعتصام بكتاب الله وسنّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم، على فهم السّلف الصالح، بل أراد لهم أن يكونوا حزباً واحداً متمسّكاً بمنهج

الله القويم، وإن هم فعلوا ذلك فقد تكفّل سبحانه لهم بالنّصر والتّمكين، قال تعالى: (أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ)الآية 22 من سورة المجادلة.

وفي هذا الإطار يقدم نصائح قيمة للشباب بقوله:

" العِلمَ العِلْمَ أيُّها الشَّباب لا يُلهِيكُم عنهُ سِمسارُ أحزاب ينفخ في ميزاب ولا داعيةُ انتخاب في المجامِع صَخّاب ولا يَلْفِتَنَّكُم عنهُ مُعَلِّلٌ بسراب، ولا حاوٍ بجِراب، ولا عاوٍ في خَراب يَأْتَمُّ بغُراب. ولا يَفتِنَنَّكُم عنهُ مُنْزَوٍ في خَنْقة، ولا مُلْتَوٍ في زَنْقَةٍ، ولا جالسٌ في ساباط على بِساط، يُحاكِي فيكُم سُنَّة الله في الأسباطِ، فكُلُّ واحدٍ مِنهؤلاءِ مُشَعْوِذٌ خلاَّب وساحرٌ كَذَّاب، إنَّكُم إنْ أطَعْتُم هؤلاءِ الغُواة، وانْصَعْتُم إلى هؤلاءِ العُواةِ خسِرْتُم أنفُسَكُم، وخسِرَكُم وطَنُكُم، وستَنْدَمُونَ يومَ يَجْنِي الزَّارِعُونَ ما حَصَدُوا ولاتَ ساعة ندَم "

و قال رحمه الله تعالى: " أوصيكم بالابتعاد عن هذه الحزبيّات التي نَجَمَ بالشّر ناجمُها، وهجم - ليفتك بالخير والعلم - هاجمُها، وسَجَم على الوطن بالملحالأُجاج ساجِمُها. إنّ هذه الأحزاب كالميزاب؛ جمع الماء كَدَراً وفرّقه هَدَراً، فلا الزُّلال جمع، ولا الأرض نفع "(6).

إنَّها - واللهِ - نَصيحةُ عالِمٍ شَفيق بكلامٍ حقٍّ خالصٍ رَقيق، وبِعِلْمٍ واثِق دَقيق، وبأُسلوبٍ فائقٍ أنيق، وبلسانٍ جميلٍ رَشيق، وبِفَهْمٍ صادِقٍ عَميق.

فهَلاَّ استجبتُم له ؟ وانْتَصَحْتُم بنُصْحِه ؟

إنّ مفاسدَ الحزبيّة أكبرُ من أن تعدّ وتحصى، ولا بأس هنا أن نذكّر ببعضها؛ حتّى يستنير طريق السّالكين، ويفهم القصد كلّ فطن لبيب، فمن أهمّها:

- **مخالفتُها لأصل الاعتصام والائتلاف، وعدم التفرّق والاختلاف:**

ويترتّب على ذلك التعدّد: انقسامُ المسلمين في أحزابٍ وشيعٍ متباعدة، سرعان ما تكون متناحرة متنافرة، تجرّ على المسلمين التّباغضَ والتّحاسد، والتّقاطع والتّدابر، ولا يخفى واقعها على المسلمين.

- **تطلّعها للحكم وحرصها على الرّياسة:**

ومعلومٌ كم جرّ - ويجرّ - طلبُ الإمارة والحرصُ عليها من شرورٍ على المسلمين، ومنازعةِ ولاةِ الأمر الشّرعيّين ما قلّدهم الله إيّاه من أمانة، وكم أريقت بسببه دماء، واستبيحت حرمات.

- **تزكية نفسِها والطّعن في غيرها:**

وغالباً ما يصاحب ذلك طعنٌ في غيرها، وتشنيعٌ عليها، ووصفُها بما فيها وهو الغيبة، وبما ليس فيها وهو البهت، وقد نهانا الله عن ذلك كلّه.

- **حرصها على إظهار عيوب الحاكم:**

وذلك حتّى يؤولَ الحكم إليها، فتُظهِر نفسها في صورة النّاصح الأمين، وتظهر الحاكم في صورة شيطان رجيم، حتّى تحكم بدلاً منه، وغالباً ما تغدر به، وهذا حرام.

3- الابراهيمي ودوره في حماية الهوية الوطنية الجزائرية

لقد حاول الاستعمار تشويه الهوية الجزائرية واللغة العربية، وكان البشير الابراهيمي دورا اساسيا في حماية الهوية الوطنية الى جانب ابن باديس واخرون من اعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وذلك من خلال عدة نشاطات واعمال، نذكر منها:

3-1- تعليم اللغة العربية ونشر تعاليم الدين الاسلامي

كان شيخ البشير الإبراهيمي، وعبد الحميد بن باديس، ورفاقهما من رجال الحركة الإصلاحية الإسلامية السلفية التي تبلورت فيما بعد في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1931 – 1956م) يؤمنون إيمانا لا تشويه شائبة باللغة العربية، ووجوب إحيائها، ونشرها بين كافة أبناء الجزائر، بعد أن عمل الاستعمار على محاولة محوها في الجزائر.

لقد كان الإبراهيمي يؤمن إيمانا مطلقا بأن اللغة العربية هي وعاء الإسلام وحافظة قرآنه وتراثه، وأن المحافظة على اللغة العربية في الجزائر تعني بقاء الإسلام في الجزائر، وبقاء العروبة في الجزائر، وأن محاولة فرنسا القضاء عليها إنما يستهدف عروبة الجزائر وإسلامها في الدرجة الأولى.

ناضل الإبراهيمي وابن باديس ورفاقهما في جمعية العلماء منذ بداية الثلاثينات من هذا القرن من أجل تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي تحت الشعار التالي: الإسلام ديننا – والعربية لغتنا – والجزائر وطننا – ضد الفرنسة والتنصير – والاندماج والتجنيس التي كانت فرنسا ورجال التبشير المسيحي يحاولون فرضها على الجزائريين طوال عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830 – 1962م). لذلك عمل الشيخ البشير الإبراهيمي على بعث اللغة العربية في الجزائر، وخصص لها حيزًا كبيرًا في كتابته المختلفة، كما خصص لها حيزًا كبيرًا من وقته لتعليمها لأبناء الجزائر.

لقد كان الإبراهيمي يؤمن إيمانا مطلقا بأن اللغة العربية هي وعاء الإسلام وحافظة قرآنه وتراثه، وأن المحافظة على اللغة العربية في الجزائر تعني بقاء الإسلام في الجزائر، وبقاء العروبة في الجزائر، وأن محاولة فرنسا القضاء عليها إنما يستهدف عروبة الجزائر وإسلامها في الدرجة الأولى.

من هنا كان الشيخ البشير الإبراهيمي (1889م – 1965م) ورجال الإصلاح الإسلامي والسلفية في الجزائر بصفة عامة من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1931م – 1965م) يواصلون ليلهم بنهارهم في العمل على نشر اللغة العربية بين أبناء وبنات الجزائر قبل تأسيس جمعية العلماء وبعد تأسيسها أيضًا، ودعوة فرنسا إلى جعلها لغة رسمية في التعليم، والإدارة في الجزائر.

وبالمقابل كان الاستعمار الفرنسي يبذل أقصى جهوده من أجل طمس معالم اللغة العربية، ليس في التعليم فقط ولكن في الإدارة وحتى في الحديث العام بين جماهير الشعب الجزائري. وهنا جاء البشير ليؤكد أصالة اللغة العربية في الجزائر، وهي تضرب باطنابها في عمق التاريخ، يوم امتزجت الثقافات بين البربر والعرب في ظل الاسلام.

في هذا الإطار يقول الشيخ الإبراهيمي في أحد مقالاته بعنوان "اللغة العربية في الجزائر": "اللغة العربية في الجزائر ليست غريبة ولا دخيلة، بل هي في دارها وبين حماتها، وأنصارها، وهي ممتدة الجذور مع الماضي، مشتدة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل، ممتدة مع الماضي لأنها دخلت هذا الوطن مع الإسلام، على ألسنة الفاتحين، ترحل برحالهم، وتقييم بإقامتهم، فلما أقام الإسلام بهذا الشمال الإفريقي إقامة الأبد وضرب بجرانه فيه أقامت معه العربية، لا تريم ولا تبرح، ما دام الإسلام مقيما لا يتزحزح. ومن ذلك الحين بدأت تتغلغل في النفوس، وتنساغ في الألسنة واللهوات، وتناسب بين الشفاه والأفواه، يزيدها طيبًا، وعذوبة أن القرآن بها يتلى، وأن الصلوات بها تبدأ وتختم".

وقال في مقام أخر بعنوان "التعليم العربي": "اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية، ومن ثم فهي لغة المسلمين الدينية الرسمية ولهذه الأمة الجزائرية، حقان أكيدان: كل منهما يقتضي وجوب تعلمها، فكيف إذا اجتمعا، حق من حيث أنها لغة دين الأمة بالحكم أن الأمة مسلمة، وحق إنها لغة جنسها بحكم أن الأمة عربية الجنس، ودين معًا. ومن هنا نشأ ما نراه من حرص متأصل في هذه الأمة على تعلم العربية"(7).

ويضيف أن " العربية هي لسان العروبة الناطق بأمجادها، الناشر لمفاخرها وحكمها، فكل مدع للعروبة فشاهده لسانه، وكل معتز بالعروبة فهو ذليل إلا أن تمده هذه المضغة اللينة بالنصر والتأييد، فلينظر أدعياء العروبة، الذين لا يريدون ألسنتهم على بيانها، ولا يريدون أفكارهم على حكمتها في أية منزلة يضعون أنفسهم"(8).

ونظر لتاثره بهذه اللغة فقد بذل في سبيل تعليمها ونشرها جزءا كبيرا من حياته، تم خلالها القيام بعديد الانجازات العلمية والادبية في سبيلها، تمثلت في البياناتُ التي كان يُصدرُها والكلماتُ التي كان يُذيعُها والمحاضراتُ التي كان يُلقيها والخطبُ التي كان يُدبّجُها، بأسلوبٍ بليغ، مما أثر على عموم الشعب ايجابا، بينما أثر سلبا وبشكل كبيرعلى فرنساً، من حيث مساهمته في توحيد الشعب وتحريض المجاهدين، وجلب الاعانات المادية والمعنوية من طرف الدول العربية والاسلامية، في سبيل نصرة القضية الوطنية.

4- الابراهيمي واسهاماته في مجال السياسة الخارجية والعلاقات الدولية

4-1- الإبراهيمي والقضية الفلسطينية:

كان الابراهيمي من اوائل المهتمين بالقضية الفلسطينية، حتى قبل الاحتلال الإسرائيلي، وقد حذر مما ينتظر القضية الفلسطينية من مآل، ولما وقع الاحتلال أصبح من أكبر الداعين لنصرة المقاومة الفلسطينية، والرافضين للاحتلال الصهيوني، إذ ورغم مأساة وطنه «الجزائر» ومحنة قومه، إلا أنه لم ينس مأساة فلسطين، فكتب عنها مبرزا حق العرب والمسلمين في تلك الأرض المباركة.

ومن بين أسباب إحتلال الصهاينة لفلسطين وتشريد ابنائها،حسب الشيخ البشير الابراهيمي، ما يلي:

.قوى الاستكبار العالمي من الدول الغربية، التي مكنت اليهود من الاستيلاء على فلسطين، ظنًا منها أنها بذلك قد تخلصت من اليهود، الذين كانوا قد تغلغلوا في مفاصل الدول الأوروبية.

.هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن اللذان يعتبران وسيلتين في أيدي الدول الغربية.

.الأنظمة العربية التي كان بعضها يأتمر بأوامر القوى الاستعمارية.

لم يكتف الإمام الإبراهيمي في تعامله مع القضية الفلسطينية بالتنديد النظري فقط، بل عمل على تجسيد الموقف الجزائري في الميدان، وذلك من خلال دعوته الشعب الجزائري إلى صوم أسبوع في الشهر، والتبرع بنفقاته لصالح فلسطين، وحمل على فرنسا لموافقتها على قرار تقسيم فلسطين، ودعا إلى تأسيس هيئة لمساعدة فلسطين سميت بالهيئة العليا لإعانة فلسطين، ووضع مكتبته تحت تصرف هذه اللجنة لتبيعها، وتقدم ثمنها للفلسطينيين، ولكن اللجنة رأت أن تبقى المكتبة لصاحبها بعدما انهارت الجيوش العربية، وعندما جاء شخص يطلب منه مالاً ليتسعين به على الذهاب إلى فلسطين ليجاهد، اقترض الإمام الإبراهيمي مبلغًا من المال وأعطاه إياه. (9)

4-2- استراتجية الشيخ البشير الابراهيمي لتحقيق الوحدة العربية

4-2-1- إزالة أسباب التنافر بين الشعوب العربية :

يرى الإبراهيمي أن أولى خطوات أو مراحل الوحدة، هي تضافر الجهود من أجل إزالة أقوى أسباب التنافر بين الشعوب العربية، في ميدان الثقافة والتفكير والاتصال بالعصر، وأسباب الثروة و نهم الحياة وأوضاع الاجتماع. من خلال الاجتهاد في تشكيل رأي عام لدى كل شعب من الشعوب العربية، ليتسنى لها تكوين رأي أعم، يتولى التوجيه والإرشاد والتنشئة.

إن بعض الشعوب العربية ما زالت إلى تلك اللحظة، لم يتكون فيها رأي عام، وما زالت تحت سيطرة الزعامات الفردية، التي تمثل مؤشرا للتفكك وأساسا للتخاذل، كما أن بعض الشعوب تشهد وجود رأي عام، لكنه يفتقد إلى النضج، لان الرأي العام لا ينضج إلا في مناخ من الاستقرار، والثقافة الهادئة التي تأخذ على عاتقها مهمة التوحيد، ومقاومة التيارات الأجنبية المهدمة كالشيوعية والمذاهب الفكرية الغربية التي تربك الأفكار (10).

4-2-2- التقارب و التواصل بين البلدان العربية :

اعتبر الشيخ البشير الإبراهيمي : ((التقارب بريد الاتحاد، والتزاور دليله، والتحاور بشيره، والتشاور مفتاح بابه))، كل هذه الأمور، كانت تقع في تلك الأيام بين الرؤساء العرب وأصحاب الرأي منهم، التي تكررت وأسفرت عن بعض المؤشرات الايجابية التي توحي باقتراب حلم تحقيق الوحدة الشاملة، التي تخيف أعداء العرب ومنهم الصهاينة، فيقولون أن في الجزيرة العربية قوما "جبارين". ومن الإحداث الهامة –حسبه- في هذا الصدد، زيارة " الأمير عبد الله الجابر الصباح "رئيس معارف الكويت لمصر، والتي كان لها دور جلي في التقارب بين العرب، لما لبلده الكويت من مكانة في تاريخ الجزيرة العربية، ولعائلته من منزلة في العائلات العربية الكبرى.

ونظرا لما يتمتع الشيخ الابراهيمي من مزايا وخصائص استمدها من فطرة الإنسان العربي، ومن همته و شهامته ونبله، وبساطته وسماحة نفسه، ومن الآداب والأخلاق الإسلامية، وتواضعه وصدقه في القول والفعل، وقد شكر الإبراهيمي الحكومة المصرية، على احتفائها بزيارة الأمير الكويتي، وقيامها بتكريمه رسميا وشعبيا، معتبرا أن ما قامت به عكس لأول مرة تواصلها مع الشعب المصري.

لقد كان في السابق يقوم هذا النوع من الاحتفالات، على المجاملة والنفاق بدل الإخلاص والمحبة، وعلى الرهبة والتملق بدل الرغبة والصدق. وختم كلامه بالقول إن هذا السلوك الحسن الذي بدر من الحكومة المصرية، باستقبالها الحار لشخصية عربية مرموقة، هو في حقيقة الأمر: ((وصل لأرحام كانت مجفوة، والرحم إذا تنهت أسبابها تأتي بكل عجيب، وتجرف كل ما كن يحجبها من حجب، وما كان يغطي عليها من عقوق وقطيعة)) (11).

4-2-3- التعريب الشامل لكل مناحي الحياة :

يرى الإبراهيمي انه من أهم خطوات تحقيق الوحدة العربية، تعريب كل مناحي الحياة في المجتمع العربي بدء بتعريب الألسنة والأفكار، والعقول والأذهان، والتصورات وحتى اللباس و وسائل النقل وأساليب المعاش وهيئات الأكل والشرب والنوم وأثاث البيوت (12) والأسرة، ولا يتم ذلك إلا عن طريق تعريب المدرسة، بدء من الكتاب إلى الجامعة وتعريب التعليم من المعلم إلى الكتاب.

ويضيف بان التعريب الشامل هو اكبر غايات كل من يعمل بإخلاص للعروبة، إذ لا يتم على وجهه المطلوب إلا بالعلم وحده، حتى وإن بلغنا فيه درجات متقدمة جدا، فلا فائدة من العلم وحده، إذا لم يتطعم في كل خطوة منه بتربية نفسية، على ما للعرب من شمائل وهمم وبطولات، ووفاء وصدق في القول وتفان في العمل، وتضحيات وأباء و إيثار وكرم وشجاعة.

وقد شدد على أن هذا النوع من التعليم، ينبغي أن يقوم به فقط، جماعة من خطباء المساجد ومن الوعاظ ومن كتاب العرب المسلمين، الذين يتوجب عليهم جميعا إن يتفقوا على: ((نغمة واحدة و هي إن الإسلام عرب جميع معتنقيه بالانتساب إليه، وإن كل من تكلم العربية فهو عربي، وإن العربي لا يكون عربيا، حتى يكون فيه ما أثر عن العرب من شمائل وأخلاق))

4-2-4- استقلال الأمة العربية أدبيا و فكريا و لغويا :

كان الشيخ البشير الإبراهيمي، خلال المؤتمرات الأدبية والمنتديات الفكرية واللقاءات العلمية، كثير الحرص إلى دعوة الأمة على ضرورة استقلالها أدبيا وفكريا ولغويا، أكثر من حرصه على الجوانب السياسية والاقتصادية، التي لا تبرز على نحو كاف خصائص الأمم ومميزات الشعوب، لان الذي يبرزها ويستعرضها أكثر أمام الأمم الأخرى، آدابها وأفكارها ولغاتها (13).

في هذا الشأن يرى الإبراهيمي أن الأدب العربي مثل الرباط، الذي عجزت السياسات الإقليمية المفرقة على حل عروقه، و سيظل على مر الأزمنة جامعا للعروبة، وموحدا آلامها وأمالها. شريطة إن يبقى عربيا في أصوله وقواعده لا شرقيا ولا غربيا، يستمد شخصيته وأهدافه من الحاجات الواقعية للمجتمعات العربية، وليس من تلك المفتعلة أو المزيفة (14).

ومن ثما يخلص إلى أن القومية العربية تستمد قوتها، من واقع الأدب العربي وسلطانه، أما وحدة الأمة العربية فتظهر في وحدة الأدب على نحو عملي، كما أن قضية الوحدة العربية ليست كما يتصور الكثيرون، إنها ميدان سلاح أو حرب، وإنما هي ميدان لإعمال العقل والفكر، فالأديب في ميدان الفكر مثل القائد وسط المعركة، يوجهها بما لديه من خبرة ويديرها بالحكمة، ويقودها بمواهبه ومعارفه، إلى أن يتحقق النصر المنشود.

4-2-5- نبذ الانقسام و استبداله بالوحدة الشاملة :

دعا الشيخ البشير الإبراهيمي إلى نبذ الانقسام السائد آنذاك بين الدول العربية، واستبداله بالوحدة الشاملة لجميع أجزاء القطر العربي، وفي هذا يتساءل كيف يتسنى ذلك، وقد افرز ذلك التقسيم أوضاعا جديدة وممالكها وملوكا؟، فمن الصعب جدا تغيير الممالك، ومن الأصعب حرمان الملوك من لذة الملك ؟.

ولهذا الغرض سارع إلى إرسال برقية من القاهرة، يهنئ فيها جمال عبد الناصر (1918م– 1970م) رئيس جمهورية مصر العربية وشكري القوتلي (1891م– 1967م) رئيس الجمهورية السورية، بمناسبة الإعلان عن قيام الجمهورية العربية المتحدة في فيري 1958 م، ومن أهم ما جاء في هذه البرقية: ((إن وحدة العرب هي الأصل والقاعدة وما سواهما شذوذ وانحراف. فباسم الإسلام وباسم العروبة أهنئكم بنجاح مساعيكم الصادقة في الخطوة الأولى بتوحيد العرب، من اثر التفرق والاختلاف، وسيكون لحاق المتخلفين بها عملا صالحا كله، فيا بشرى للسابقين)) (15).

وختم كلامه بتقديم مجموعة من النصائح، والتوجيهات للحكام والقادة العرب، وتتمثل في ضرورة استئصال النقائص المتاصلة في النفوس، والسعي لجمع الصفوف المتفرقة، وإسكات الأصوات الداعية إلى التفريق، قمع الشهوات الجامحة ومحو الألقاب المهينة، وتقوية العزائم المتراخية (16).

على ضوء ذلك، نستنتج إن دور القادة والحكام العرب في انجاز الوحدة العربية، يعد أساسيا في اعتقاد الشيخ البشير الإبراهيمي، شريطة إن يكونوا على درجة كبيرة من الوعي بالمسؤولية، والتحلي بالصدق في التعامل مع المصالح العليا والقضايا المصيرية للأمة. كل ذلك ممكن، بالرغم الخلافات العميقة والصراعات المستشرية بينهم.

5- بعض شهادات كبار العلماءعلى مناقب الابراهيمي

إن مكانة الرجل و رصيده في مختلف المجالات جعله محل اهتمام واعجاب وتأثر الكثير من العلماء و المفكرين، الامر الذي جعلهم يقرون و يؤكدون على عظمة الرجل و دوره الكبير على المستوى المحلي والدولي.

5-1- عبد الحميد بن باديس

إن رأي رئيس جمعية العلماء المسلمين عبد الحميد بن باديس صديق الرجل، نستشفه من خلال تعليق هذا الأخير على محاضرةً القاها الابراهيمي في نادي التّرقّي بالعاصمة (سنة 1929م)، عنوانها «التّعاون الاجتماعي»؛ نُشرت في ثلاثةِ أجزاء من مجلة

الشهاب بقوله: «الأستاذ الإبراهيميُّ صاحب هذه المحاضرة نَعُدُّهُ-بحقٍّ- من أعيان الطّبقة الأولى من كتّاب الجزائر وخُطبائها وأدبائها ومفكّريها ورجالها العاملين على نهضتها.

وهو اليوم يُباشر الأعمال المالية في ناحيته بعلمٍ وأمانة ونشاط، ويُعلّم النّاس هذه الصّفات الثلاث في التّجارة تعليمًا عمليًّا، كما يدعوهم دائمًا إليها بقوله: مضت مُدّةٌ على هذا الأستاذ كنزًا دفينًا لم تَجْنِ الأمّة ثمرات يَرَاعه، وطالما وجَّهْنا إليه عَتْبَ الصّديق على صديقه فيعتذر ويعتذر، إلى أن ألقى مُحاضرته هاته بنادي التّرقّي العظيم بالعاصمة، وجاءنا بها مِن عنده أحدُ خلّص أصدقائه. نقدّم شكرنا وشكر قُرّائنا للأستاذ ونَستزيده مِن هذه الدُّرَر الغوالي لنبُثّها بين أبناءِ دينه ووطنه، دام لهما».(17)

5-2- الشّيخ الأديب: محّمد بن العابد الجلالي

هي شهادةٌ لمسؤول في صحيفة «المنتقِد» (محّمد بن العابد الجلالي) عند مقابلته للشيخ الابراهيمي في مدينة سطيف صائفة سنة 1925م،: حيث يقول «...هناك قابلتُ نِبراس العلوم مُبِيد ظلمات الجهل مُحطِّم قيود التّقليد الفاسد الأستاذ الشّيخ البشير الإبراهيمي، فأَرَاني كيف لا يُؤثّر النّقصان الجسميّ في نقصان الهِمَم والقُعود عن الواجبات، فهو في سائر حالاته سواء كان ماشيًا أو جالسًا في المدرسة أو في القهاوي الفرنجيّة يُفيدك مِن الدُّروس الممتِعة والنّكات اللّطيفة ما لا تستفيدُه مِن غيرِه في دهر، وإنّي لأرى أهالي سطيف في غفلةٍ كبيرةٍ، حيثُ لم يأخذوا حظَّهم مِن بحره الزّاخر، وهُم في ظمإٍ لِسَلْسَبِيلِهِ مع ما نعرفه من شهامتهم وشدّة ذكائهم، ولعلّهم يلتفتون إلى نصيحتي فيتداركون ما فاتهم..» (18)

5-3- الشيخ محمد الغزالي رحمه الله

يتحدث الامام و العالم الاسلامي الجليل محمد الغزالي عن الشيخ الابراهيمي عند قدومه الى مصر منهرا به قائلا: ولا عجب فدار الإسلام واحدة وإن اختلفت منابت الأفراد ....وأذكر من أولئك الزعماء اللاجئين إلى القاهرة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، عرفته، أو تعرفت إليه، في أعقاب محاضرة بالمركز العام للإخوان المسلمين...كان لكلماته دوي بعيد المدى، وكان تمكنه من الأدب العربي بارزًا في أسلوب الأداء وطريقة الإلقاء، والحق أن الرجل رُزِق بيانًا ساحرًا، وتأنقًا في العبارة يذكرنا بأدباء العربية في أزهى عصورها.

ويضيف: إن الخطيب أو الكاتب يوم يستمد توجيهاته من قلبه ويصبها في نفوس تلامذته إنما يُكوّنُ فيالق من أولي الفداء، ويصنع قذائف حية من رجال ينسفون الباطل نسفًا، وذلك ما أحسسناه ونحن نستمع إلى الشيخ البشير الإبراهيمي في القاهرة، فعرفنا لماذا ضاق به الفرنسيون وطاردوه، ومن ثَمَّ قررنا الالتفاف به والاستمداد منه.

كان لقاؤنا بالشيخ البشير الإبراهيمي مصدر متعة أدبية وعلمية تجعل أدباء القاهرة وعلماءها يهرعون إليه ويتزاحمون عليه، ولكن الرجل كان يشرد بين الحين والحين، فنحس أنه معنا وليس معنا، كان جسمه معنا وقلبه معلقًا بالجزائر يتحسس أبناءها، ويتبع العراك الدائر بين الإسلام والصليبية في هذه القطعة الغالية من دار الإسلام، وكنت أشعر بأنه يكتب إلى رجاله أو المسؤولين عن الكفاح الجزائري يشير عليهم بالرأي ... وأستطيع الجزم بأنه ما ضعف يومًا ولا استكان ولا يئس من روح الله، ولا شك في أن الله ناصر جنده، ومعز المجاهدين المسلمين.

ومعرفتي بالشيخ البشير الإبراهيمي تجعلني أتساءل عن حدود الوفاء للقيم والمبادئ التي عاش من أجلها ومات في سبيلها؟.(19)

5-4- الأستاذ أحمد توفيق المدني

أما الأستاذ أحمد توفيق المدني رحمه الله فيتحدث عن خصال الابراهيمي بقوله: "كان الإبراهيمي أمة، كان جيلا، كان عصرا، كان من أولئك الأفذاذ القلائل الذين أمْلوا إرادتهم على الحياة، وأخضعوا الأيام لمشيئتهم فكيفوها كما أرادوا، وأخرجوا بلادهم من مصير شاءه لها الظالمون إلى مصير رسموه لها بأنفسهم، فحددوا أهدافه واستبانوا مسالكه واقتحموا اقتحام الرواد الصادقين طريقه الوَعْرَ المُنْهِك للقِوَى، غير عابئين بما كانوا يَلْقَوْنَه من عذاب وتنكيل واضطهاد، ولا مُعيرين السمعَ لما كان يُحَاكُ حولهم بوحي من الغاصب الدخيل من دَسٍّ وبُهْتان، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعُفوا وما استكانوا، والله يحب الصابرين".(20)

ويقول مبرزا جانبا من الأعمال التي أنجزها الإبراهيمي في بضع سنين: "كان الإبراهيمي خلال عشرة أعوام من رئاسة فعلية لجمعية العلماء، يقضي سحابة يومه في البناء والتعمير، ويقضي سواد ليله في التدبير والتفكير، ولم نكد نعرف له خلال هذه الملحمة مقرا معلوما، إلا السيارة يمتطي متنها الأيام والليالي، يخترق بها النجود والوهاد، فما من مدينة، وما من قرية، وما من مضرب من مضارب البدو، إلا غشيها وبث فيها الروح، وغرس فيها بذور النهضة واجتث منها الطفيليات القاتلة، ولا يبرحها إلا عن مسجد مُؤسَّس، أو مدرسة مرتفعة، أو ناد عامر". (21)

5-5- الشيخ عبد الرحمن شيبان

ويكشف الشيخ عبد الرحمن شيبان رحمه الله، عن جانب آخر من جوانب العظمة في شخصية الإمام الإبراهيمي، فيقول: "إذا كان من العظماء من لا يُقَدِّرُه معاصروه حَقَّ قَدْرِه، وإنما تنتصر له الأيام التي تؤكد مِصْداق ما نادى به ودعا إليه، فإن من العظماء من ملأوا الدنيا وشغلوا الناس في حياتهم ومن بعد وفاتهم، ومن هؤلاء الشيخ الإمام محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله" . (22)

5-6- الأستاذ محمد فاضل الجمالي

ويقول الأستاذ محمد فاضل الجمالي رحمه الله، وهو يبرز جانبا آخر من جوانب العظمة في شخصية الإمام الإبراهيمي: "من الأشخاص المعدودين الذين تركوا أثرا عميقا في نفسي وكان لهم الفضل في إثراء حياتي القومية والدينية العلامة الجليل الشيخ البشير الإبراهيمي طيب الله مثواه، فقد كان علما من أعلام الإسلام وعظيما من عظماء الزمان. كان منبعا فياضا من منابع العلم والإيمان، يمتاز بالحيوية والشجاعة وفصاحة البيان. كان ذا شخصية جذابة محبوبة مؤثرة، جاهد في سبيل الله وكافح الاستعمار بكل ما أوتي من قوة، بهمة لا تعرف الكلل وبمثابرة وإصرار".(23)

5-7- شهادة الأستاذ محمد خمار

يقول الأستاذ محمد خمار، مبينا ما كابده الإبراهيمي من مشقة، وما بذله من جهود: "الشيخ البشير كان أمة في رجل، وكان طاقة جبارة من العزيمة والنشاط والشجاعة والجرأة في الحق، وفي ذلك عُذِّب وسُجِن ونُفِيَ وشُرِّدَ فما لانت له قناة ولا وهنت له عزيمة، بل ما زاده ذلك إلا قوة وصلابة واسترسالا في الجهاد الوطني والإصلاح الاجتماعي".(24)

5-8- الدكتور عبد المجيد مزيان رحمه الله

اما تلميذه الدكتور عبد المجيد مزيان رحمه الله، يقول مبرزا عظمة أستاذه في علمه ومعاملته: "نشهد كما عرفناه، ونحن تلامذته، أنه كان من أعلم أهل عصره بالعلوم الإسلامية والعربية. كان إماما لا نظير له في علوم الحديث... وكان مفسرا للقرآن في دروس عمومية ودروس للطلبة أتى فيها بإبداعات سجلتها عنه ذاكرة الأجيال، ولو لم تجمعها المكتوبات. وكان معلما للتاريخ الإسلامي ببراعة وتحليل وسعة نظر، يتطرق إلى فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع والأخلاق لينير التاريخ بمنظار الفكر الإسلامي والالتزام الأخلاقي الذي تدعو إليه النهضة الثقافية والإصلاح. وكان أستاذا في اللغة والآداب العربية يجمع بين الأصيل والجديد... وكان مع هذا قدوة في سهولة المعاملة والاتصال، بشوشا مرحا في مجالسه، واسع الصدر في ممارسته للمسؤوليات، متفجر الحيوية في أنشطته الثقافية، كاتبا، وخطيبا، وصحافيا، وأستاذا، وإماما". (25)

5-9- عبد العزيز الصغير دخان

إن الدكتور عبد العزيز دخان يعبر عن اعجابه بشيخنا محمد البشير الابراهيمي طيب الله ثراه بقوله (...إن في حياةِ الأمم والشعوب شموسٌ تَشعُّ ثمّ تَذوِي، فلا تجدُ مَن يقفُ يَرقُب طلوعَها وسطوعَها، ونُجومٌ لايسعدُ الناس بها إلاّ زمناً يسيراً، ثمّ تلوحُ غاربةً في الأفق أو منطلقةً في بيداءِ الفضاء الواسع... شموسٌ تُشيعُ الدفءَ والأمانَ وتبعثُ الأملَ الباسمَ والحنينَ الجارفَ إلى أمجادِ الماضين وآثار المُتألّقين.

شموسٌ تحكِي قصّةَ أمّةٍ عظيمةٍ نُشرت في الكَوْنِ راياتُها وانتظمتْ على مَسرح الوجود غاياتُها وعلتْ في المجد هاماتُها، وكانتْ دهراًملجأً للضعفاء والمساكين وقِبلةً للمتعطّشين إلى العلم والمعرفة، وكهفاً يأوي إليه الفارون من حَرِّ الظُّلْم وفَيحِ التعسّف وأتون الاستبداد، البارحةَ.وتحت مصباحي المتوهّج، قرأتُ سيرةً أعظمَ توهّجا ... سيرةَ رجلٍ ملأ الدنيا وشغلَ الناس وأضاء نجماً ساطعاً وكوكباً لامعاً في سماء الإسلام والعربية ... وتردّد صوتُه في سمع الزمان زمَناً، وكان بذلك جديرًا وقَمِناً... سيرةَ رجل أضاء في ميدانه وعاش بين إخوانه، عاملاً بصمت، مدافعًا بحجّة، مصاولاً برغبة، مستميتًا بحمية، في سبيل إعزاز دينه ولغته.

إنّه بكلّ فخر واعتزاز.علامّةُ الجزائر وبطلها المجرّب وأديبها المدرّب وفارس ميدانها وزينة أغصانها... إنّه الشيخ الإمام محمد البشير الإبراهيمي ثاني اثنين أعزّ الله بهما الإسلامَ والعربيةَ في هذه الديار، وأحيا بهما أمّةً أريد لها الاندثار، وأمات بهما كثيراً من الشركِ والمُخالَفَة لدين الله الواحدِ القهار.

الخاتمة:

لقد كان الامام الشيخ البشير الابراهيمي من القيادات الفكرية الراقية في تاريخ الجزائر المعاصر، كيفا لا وهو وليد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إلى جانب اصدقائه من امثال بن باديس والعربي التبسي والطيب العقبي...، الرجل سخر حياته لخدمة الجزائر على كافة المستويات، وتوفي تحت تأثير المرض، وسوء المعاملة من طرف السلطة السياسية السائدة آنذاك.

لقد كان الابراهيمي بحق أحد ركائز الفكر التجديدي الإصلاحي، نظرا لما ساهم به في تحرير الفكر والعقل، ضد من يقيدهما، وكذا تحرير الوطن، بالاعتماد على المنهج الاسلامي الصحيح، حيث تمكن من تطهير الأفئدة، من الشوائب، كما ساهم في تصحيح العقيدة من الشبوهات...الخ.

لم يقتصر نشاط الابراهيمي على الجانب الادبي والفكري والاصلاح الديني والتربوي، بل شمل كذلك الجانب السياسي، والذي ظل مغيابا إلى وقتنا الحالي، ومن أهم النشاطات التي قام بها في سبيل تحرير وطنه وتجسيد حريته، هو محاربة الطرقية والقضاء عليها، باعتبارها كانت تنخر المجتمع نخرا، وتساهم في قابليته للاستعمار، أوكما يعبر عنه مالك بن نبي، وكذا القضاء على التحزب خاصة في الفترة الاستعمارية، لما له من دور في تفتيت الوحدة الوطنية، مما يسهل على المستدمر تنفيذ استراتيجيته لمحو الهوية الوطنية.

في هذا الاطار عمل على ايجاد استرتيجية موازية للحفاظ على مكونات الهوية الوطنية والمتمثلة في نشر الاسلام واللغة العربية، حيث عمد إلى توسع التعليم الديني، وتوجيه النشء نحو الممارسة الدينية والعقائدية الصحيحة. إلى جانب ذلك ساهم الشيخ الإمام في توطيد العلاقات الأخوية بين مختلف الدول العربية والاسلامية التي فرقها المستعمر لتحقيق مآربه، كما كان له دورا اساسيا في الدفاع عن القضية الفلسطينة، ولم الشمل العربي لمناصرتها...الخ

إن هذه الانجازات العظيمة التي حققها الشيخ البشير الابراهيمي لشعبه ولامته العربية الاسلامية، جعلته محل احترام وتقدير العديد من العلماء والكتاب والمفكرين من داخل البلاد ومن خارجها، وكلهم يؤكدون على أنه من عضماء الجزائر في التاريخ المعاصر، وهنا يبقى الاشكال المطروح، ألم يئن للجزائر أن تخرج لنا الكثير من العضماء من طينة الابراهيمي، وما احوجنا الى ذلك في هذا الوقت.

الهوامش:

(1)«السِّيرة الذّاتيّة للشّيخ الإبراهيميّ»، مِن إملائه على تلميذه: الأستاذ بشير كاشة الفرحي- ط.دار الآفاق-الجزائر.

(2)«السِّيرة الذّاتيّة للشّيخ الإبراهيميّ»، مِن إملائه على تلميذه: الأستاذ بشير كاشة الفرحي- ط.دار الآفاق-الجزائر.

(3) «السِّيرة الذّاتيّة من إملاء الإبراهيمي»، و«آثار الإبراهيمي»(5/273-274)

(4) «آثار الشّيخ الإبراهيمي»(1/27-29).

(5) سجلّ مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين (ص:61).

(6) «مذكرات الأستاذ عبد الرحمن العقون»(1/225-228).

(7)" عيون البصائر لمحمّد البشير الإبراهيمي" (2/292).

(8) البصائر، عدد 41، عام 1948م

(9) البصائر، عدد 2، عام 1947م

(10) http://www.binbadis.net/research-and-studies/elibrahimi/418-elibrahimi.html

(11) الإبراهيمي : الآثار، ج 4 ، ص. ص 374 – 375.

(12) البشير الإبراهيمي : أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 5 (1954 م م) ، جمع و تقديم احمد طالب الإبراهيمي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997 م ، ص 276.

(13) الإبراهيمي : الآثار، ج 4 ، ص. ص 242 – 243

(14) مقدمة الهادي الحسني. الإبراهيمي : الآثار، ج 5، ص 26.

(15) المصدر نفسه، ص 210.

(16) الإبراهيمي : الآثار،، ج 5، ص 45.

(17) الإبراهيمي : الآثار، ج 4 ، ص211

(18) «آثار الشيخ الإبراهيمي»(1/58)

(19) جريدة: «المنتقِد»، العدد(6)، 16محرم1344هـ/6أوت1925م

(20) أثار الإمام البشير الإبراهيمي ج4 : مقال كتبه الشيخ محمد الغزالي عن الإمام الإبراهيمي في مجلة الثقافة الجزائرية، عدد 87، مايو- يونيو 1985

(21) مجلة الثقافة، السنة 15، العدد 87، شعبان رمضان 1405هـ، مايو يونيو 1985، ص39.

(22) نفس المرجع، ص 71

(23) نفس المرجع، ص 121

(24) نفس المرجع، ص 354

(25) نفس المرجع، ص 08